

المحاضرة الثانية

لفردوس (تك 2: 4-2: 25)

إن الأصحاح الأول يركز على الله والعالم كله أو الخليقة كلها، والأصحاح الثاني ركز على الإنسان أكثر والجنة وهو المكان الذي فيه خلق الإنسان، فقد شبه البعض (تك 1) بأنه العرش الكبير، (تك 2) بأنه العرش الصغير وما يحتويه من آدم وحواء والأشياء الموجودة من حولهم.

(تك 2: 4-6) هَذِهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الْإِلَهُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ كُلَّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الْأَرْضِ وَكُلُّ عَشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ لِأَنَّ الرَّبَّ الْإِلَهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ. ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلُعُ مِنَ الْأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الْأَرْضِ. يعطي وصف للأرض قبل خلق الإنسان وقبل سقوط البشرية.

باقي الأجزاء فهي تحكي عن ثلاث أمور مختصة بالإنسان وخلقها، هي السلطان، والعلاقة مع الله، والعلاقة مع الآخر، فباقي الأصحاح الرب خلق الأرض وأعطى له سلطان عليها. نجد ذكر لهذا السلطان (تك 1: 26-27)، ولكنه ازداد إيضاحاً في (تك 2: 15) وَأَخَذَ الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ فِي جَنَّةٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. وفي (تك 2: 19-20) وَجَبَلَ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَلِكَ نَفْسٌ حَيَّةٌ فَهُوَ اسْمُهَا. فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءِ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَجَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. فتسمية الحيوانات كان بمثابة إعلان سلطان لآدم عليها.

أما علاقة الإنسان بالرب ففيها طاعة وخضوع (تك 2: 16-17) وَأَوْصَى الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً: «مَنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا. وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ. فهناك علاقة حميمة بين آدم والله فيها حب وخضوع، وفيها إعلان عن قداسة الله، وعن اهتمام الله بآدم حتى أنه من أحضر لآدم زوجته لتكون له معين نظيره.

أما عن علاقة الإنسان مع الآخرين، فنجد نموذج لهذه العلاقة في العلاقة بين الرجل وزوجته وهي مركز العلاقات الإنسانية، فكانت علاقة آدم بامرأته حواء حيث نرى الله خلق آدم لكي يكون مخلوق اجتماعي، وخلق حواء لكي تكون معينة، فهي نظيره وهي المناسبة له فكانت العلاقة بينهما عميقة جداً وبريئة فهما عريانين ولا يخجلان، وفيها حب وانفتاح، وليس بها خوف وليس بها ذاتية أو أنانية. بل ونرى أول قصيدة شعرية حيث يقول آدم عن حواء أنها عظم من عظامي ولحم من لحمي. فهذا نحن أمام أساس الزواج حيث يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته.

ملاحظات ختامية عن الخلق

يجب أيضاً أن يلاحظ الدارس لعملية الخلق من تكوين 1 و 2 أن موسى ركز كثيراً على فكرة التوحيد، وأن الله وحده هو الذي خلق الكون وليس آلهة كثيرة، وفي نفس الوقت أن الكون له خالق والقصة ليست عشوائية. والله له سلطان يخلق كل شيء بدون مجهود بل بأمر فقط "كن فيكون" ليس هناك حروب مع آلهة أخرى لكي يخلق شيء. والله له قداسة في أقواله "اعمل"، و "لا تعمل"، "كل"، "لا تأكل"، هناك يوم للراحة أي يوم العبادة ويوجه موسى الشعب أن أهم شيء في الخليقة هو الله ذاته والتركيز على جلاله وقداسته، كما نرى أن تأسيس الزواج والعمل قد حدث قبل قبل السقوط.

السقوط

التصميم المثالي الذي عمله الله في الخلق لحق به التشويه والفساد، فبالسقوط أفسدنا الفردوس التي كنا نعيش فيها، وبعد ذلك فسدت العلاقات. ففي (تك3) يحكي عن الانتهاك أي ماذا فعلنا لكي نسقط، وفي (تك4-11) ذكر نتيجة هذا الانتهاك أو نتيجة السقوط.

(تك3: 1-3) وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلُ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ إِلَهُهُ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مَنْ ثَمَرَ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللَّهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا. الشيطان في صورة الحية تخدع حواء بعدم صدق الله فيما قاله أنها إذا أكلت تموت، ونتيجة هذا الخداع كان التمرد على الله وعصيانه، وتسرب الشك إلى قلوبهم مصدقين على كلام الشيطان لكي يكونوا مثل الله، والرغبة في تأليه الذات هي القاعدة العامة وأصل كل الخطايا.

نجد في هذا المشهد حوار بين الحية وحواء حيث أول مرة يقال عن الله "الله فقط دون الرب" كان من قبل الحية، علما بأن كلمة الرب (يهوه) كلمة عهدية في حين أن كلمة إلهيم تعبر عن سلطان الله وحواء مالت لما قالته الحية فقالت أيضاً الله بدون الرب.

خداع الحية أثار الشك في صلاح الله وأنشأ بداية التمرد على الله والشك ولد الاشتهاء في أمر ممنوع والشهوة قادت إلى العصيان أو الخطية. فرار الأكل من الشجرة كان في منتهى الخطورة. (لقد أعلن آدم الحكم الذاتي أي رفض قوانين الله أي الاستقلال عن الله وكأنه يقول أننا لست في احتياج إليك. آدم تخطى حدوده فلقد أراد أن يكون هو الله.

عندما تمرد الإنسان على الله أعلن الحكم الذاتي لنفسه، لأنه ظن أنه مساو لله وظن أنه يستطيع أن يحيا بدون الله، وهذا الطابع المميز للخطيء اليوم يريد أن يبتعد عن الله ويعتمد على نفسه وذاته. وعندما أخطأ آدم بدأ يشعر بالخزي والعار من خطيته، واكتشف أنه عريان وخاف خوفاً شديداً وهرب من الله.

حياة الإنسان انقلبت رأساً على عقب في الأعداد (7-13). وفسدت علاقته مع الله، وعلاقته بالخلقة فسدت وأصبحت الأرض ملعونة بسببه، وبعدما كان يأكل من الأرض من غير تعب أو مجهود، أصبح يتعب ويبذل مجهوداً لكي يأكل، وكذلك علاقته بزوجه فسدت، وأصبحت الذاتية والأنانية وإلقاء اللوم على الأخر هي سمة الإنسان، وفي المجمع فسد العش الجميل العاطفي المليء بالدفء والمحبة والعلاقة الحميمة مع الله. وبدل أن يهرب الإنسان ويلجأ إلى الله بفرح وشوق أصبح يهرب منه ويخافه ويرتعب من قداسته لأنه يرى خطيئته جريمة في حق الله وقداسته. كما أن الله الآن أصبح منافس قوي ضده. فالإنسان نتيجة السقوط فقد الجنة والمكان الجميل الذي كان يعيش فيه بفرح وسعادة، ويجب الوضع في الاعتبار أن بسقوط آدم لم يلعن الله آدم ولا حواء، ولكن نتيجة هذا السقوط لعن الله الحية والأرض.

لعن الله الحية (تك3: 14-16)، نجد أول إنجيل (تك 3: 15) فالحية سوف تسحق والذي سيسحقها من نسل المرأة ولكن سيأتي نسل المرأة من آلام في الولادة كما أن الزواج سيحيطه الكثير من المشاكل. (3: 16) وهذا يعد تمزيق لمهمة الإنسان الأولى التي أعطاها له الله قبل السقوط وهي أن يثمروا ويكثروا ويملئوا الأرض (1: 28).

نجد في (تك3: 17-19) لعنة الأرض، ملعونة الأرض بسببك، فإنك سوف تعرق وتشقى وتتعب لكي تأكل على عكس ما قيل في (تك1: 28) بأن الأرض بما عليها من خلائق ستكون خاضعة لك ولسلطانك، وهذا كما يعتبر البعض أن هذا حدث مع آدم نتيجة لإرتكابه المعصية، لكننا نقول بأنه تنفيذ لعقاب إلهي وليس مجرد نتيجة طبيعية للأمور.

البناء الأدبي للنص في تكوين ٢ و ٣ يمكننا أن نرى الإصحاحين ٢ و ٣ كوحدة أدبية

يمكن تقسيم هذا النص إلى ٧ أجزاء . الجزء الأول موازي للسابع والثاني للسادس والثالث للخامس والرابع هو محور القصة.

الجزء الأول (تكوين ٢: ٥-٢٧) الله هو الفاعل، الإنسان حاضر لكن لا دور له (أسلوب قصصي Narrative)
الجزء السابع (تكوين ٣: ٢٢ - ٢٤) مماثل للجزء الأول

آدم في الجنة ثم آدم خارج الجنة
الشجر في الجزء الأول وخاصة معرفة الخير والشر وفي الجزء الرابع الحديث عن المنع من شجرة الحياة
الفرق الثالث في التكليف: فأولا كان هناك تكليف بحفظ الأرض بدون ألم أو صعوبة أم في الجزء الرابع نرى الحكم ليس فقط بالطرده من الجنة ولكن أيضا بتعب وكد صعب خارجها.

الجزء الثاني (تكوين ٢: ١٨ - ٢٥) الله له دور رئيسي، الرجل له دور ثانوي والمرأة والحيوان سلبي (أسلوب قصصي)
الجزء السادس (تكوين ٣: ١٤ - ٢١) مماثل للجزء الثاني (الحية ممثلة للحيوانات)

في هذين الجزئين الله له الدور الرئيسي والأحداث تحدث في الجنة. المشهدين يرويان شكل العلاقة بين الإنسان وباقي الخليقة. المشهد الثاني يروي الوضع المثالي حيث صحبة الحيوانات والتناغم بينه وبين حواء، في حين أن المشهد السادس يروي الوضع الحالي حيث الصراع بين الإنسان والحيوانات (الحية) وبين الرجل والمرأة. كلا المشهدين يوضحان التسلسل الهرمي للسيادة. الله الخالق هو على رأس الهرم يليه الرجل فهو الذي يعطي للحيوانات وللمرأة أسماء كما أن سلطانه على المرأة يتضح أيضاً بعد السقوط في أنه أسماها مرة أخرى (تك ٣: ٢٠) ولكن سلطان المرأة فوق الحيوانات يتضح من كونها الوحيدة المعينة النظيرة له. أخيراً كل مشهد يوضح دور المرأة كزوجة وأم ويتكلم عن الملابس.

الجزء الثالث: (تك ٣: ١-٥) حوار بين حواء والحية

الجزء الخامس: تك ٣: ٩-١٣) حوار بين الله وآدم وحواء

كلا المشهدين يحتويان على حوار عن الأكل من شجرة الحياة والنتائج المترتبة عن ذلك. كلا المشهدين داخل الجنة. وإن كان مكان الحوار لم يكن في وسط الجنة في المشهدين. في المشهد الثالث، المرأة والحية كان لهما ٣ تعليقات فيما يتعلق بالشجرة أما في المشهد الخامس كان لله ٣ أسئلة حول ما حدث.

الجزء الرابع: (تك ٣: ٦-٨) الرجل والمرأة

يتضح هنا أن الإنسان هو اللاعب الرئيسي، فلا ذكر لله ولا للحية في هذا المشهد. فهما الآن في وسط الجنة أمام شجرة معرفة الخير والشر. هنا قررت المرأة أن تعصي الله وتتجاوز مع إغراء الحية. كذلك الرجل أيضاً يسمع لصوت امرأته رافضاً أمر الله له. النظام الهرمي للقيادة الذي رأيناه في الجزء الثاني والخامس نراه معكوساً في هذا المشهد. فبدلاً من أن يكون الترتيب: الله - الرجل - المرأة - الحيوان أصبح الترتيب الحية - حواء - آدم - الله.

يتضح من التكوين الأدبي أن الترتيب الزمني للأحداث ليس هو محور اهتمام الكاتب (وإن ظهرت بعد التفاصيل التي توضح الترتيب الزمني مثل أن السقوط بعد الخلق)

ملاحظات عامة

a. هناك رجاء (تك 3: 15) فالإنجيل الأول حمل رجاء بأن نسل المرأة سينتصر برغم السقوط. فالموت لم يكن نتيجة مباشرة بل ألبسهم الله أقمصه من جلد مع الوعد بالانصرة على

الحية

b. الله ظل متدخل طوال التاريخ بالرغم من شر الإنسان بل أنه يستخدم كل شيء لتحقيق مقاصده. فالله تدخل من البداية من وقت قايين وهابيل.

c. من بعد السقوط نجد الله ووعوده على الأرض. من هابيل لنوح لإبراهيم وموسى وداود وكل العهود حتى نصل إلى العهد الجديد. أصبحت القصة هي قصة استرداد الإنسان. ففي وسط الآلام والضيقات نجد الأمل موجود ووعده بالرجوع مرة أخرى إلى الله

d. يجب ألا ننسى أن موسى ذكر القصة لبني إسرائيل ليلفت انتباههم أنه عليهم ألا يقفوا في نفس خطأ آدم وحواء أي العصيان، بل أن طريق العودة هو الطاعة كما أنه يذكر الإنجيل الأول (تك 3: 15) يكون لديهم أمل في الرجوع

e. يلاحظ أن حكم الموت الروحي (انفصال عن الله) كان فوري في حين الألم والموت الجسدي كان تدريجياً. كذلك الاسترداد، فحكم التبرير فوري في حين إزالة الألم والموت الجسدي أيضاً تدريجياً.

التأثيرات المستمرة للسقوط

قصة قايين وهابيل هي قصة محورية بالنسبة لموسى والشعب ولنا أيضاً، وهي تحكي أول جريمة قتل في التاريخ نتيجة الأنانية والغيرة والحسد حتى بين الإخوة الأشقاء، وهذا يشير إلى هول التغيير الذي حدث للإنسان من انحدار في الأخلاق والبراءة بعد السقوط الذريع، فبعد أن كان برئياً أصبح اليوم شريراً قاسياً القلب لدرجة أنه يقتل أخيه.

نجد في قصة قايين وهابيل، معضلة شهيرة تطرح، إلا وهي لماذا قبل الله قربان هابيل ولم يفعل المثل مع قايين، وأشهر الآراء في هذا الصدد أن هابيل قدم ذبيحة دموية، وقايين قدم من ثمار الأرض، ويبدو أن هذا الطرح ليس باقوة الكافية، فمن الواضح أن التركيز في النص كان على قلب هابيل وليس على ما قدم من ذبيحة. فلو كان ما حدث العكس، أي أن هابيل قدم من ثمار الأرض، وقايين ذبيحة دموية، هل كان الله سيقبل من هابيل أم من قايين؟ والقول الفصل في هذا أن الله لا يهمله ماذا قدم هذا أو ذاك، وإنما ما يهتم الرب هو اتجاه القلب أولاً وقبل كل شيء، ونعتقد أنه كان يقبل من هابيل أيضاً في هذه الحالة لأن الله يهتم بالقلب وليس بالشكل. في رسالة العبرانيين "نظر الله إلى هابيل وذبيحته"، وأيضاً إلى جانب هذا أنه عندما قدم هابيل ذبيحته انتقى من أجود وأفضل ما عنده الله، لكن لم يذكر النص ذلك عن قايين، قال فقط أنه قدم من غلته، من ذلك نفهم أن أعمال هابيل كانت بارة ومستحسنة في عيني الرب، ولكن أعمال قايين كانت شريرة.

(تك4: 3) وَحَدَّثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الْأَرْضِ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ أَيْضاً نلاحظ أن هابيل هو الأصغر وقايين هو الأكبر، ونفس النمط يتكرر في سفر التكوين يعقوب وعيسو فيعقوب هو الأصغر، وإسماعيل وأسحق، فأسحق هو الأصغر، سام وحام ويافث، فسام هو الأصغر، أفرايم ومنسى، وهكذا.

بعد قتل قايين لأخيه طرده الله من وجهه، ولا يمكن أن نتأكد ما المعنى والمقصود بالضبط هل طرده الله من الأرض أو هل طرده من بركة معينة، وفي وسط طرد الله لقايين نجد رحمة الله الحاضرة المنقذة. موسى لا يركز على تفاصيل القصة التاريخية بقدر تركيزه على عمل الله ورحمته وتعاملاته مع الإنسان منذ بدء الخليقة. فالهام طرد قايين من وجه الله، ومثلما ألبس الله آدم وحواء أقمصه من الجلد، عمل الله علامة لقايين لكي لا يقتل.

أول ذكر لتعدد الزوجات هو "لامك" الذي تزوج امرأتين. وأول ذكر للتحضر والصناعة والزراعة والآلات الموسيقية واستخدام المعادن في (تك4) وفي نسل قايين. واختلف المفسرين في تفسير هذه الأمور التحضرية هل هي شر أم سيئة، والبعض قال واصفاً إياها بأن صورة الله وابداعاته ما زالت موجودة حتى في الأشرار. ورأى الآخرين أنها محاولة من موسى لربط نسل قايين الشرير بالمصريين الذين اشتهروا بالتحضر أيضاً.

(تك4: 24) إِنَّهُ يُنْتَقَمُ لِقَائِيْنَ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ وَأَمَّا لِلْأَمَكِ فَسَبْعَةً وَسَبْعِينَ يجب الوضع في الاعتبار أن المقولة الشهيرة للامك - هناك انتقاد وخوف ومزالمت الصورة مخيفة وغير جيدة على الاطلاق وهناك مشاكل كثيرة - البعض يفسر ذلك بأنه بداية وجود قوانين مدنية ويقولون أن أول مدينة بنيت باسم ابن قايين وهو حانوك وأصبح في هذه المدينة قوانين مدنية وضعية تحكمها والذي يقوله لامك هو صورة لهذه القوانين . والخلاصة أن هناك انتقاد وظلم وكراهية .

(تك4: 25-26) . وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضاً فَوَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ شِيثًا قَائِلَةً: «لَأَنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسْلاً آخَرَ عِوَضاً عَن هَابِيلَ». لَأَنَّ قَائِيْنَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ. وَلِشِيثٍ أَيْضاً وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسْمَهُ نُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتَدَأَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ. نرى نسل شيث وكيف أن الله عوض عن موت هابيل وهذا هو النسل الذي سيكون فيه الأمل والرجاء الآتي وهذه رحمة الله مرة أخرى تتدخل وبصيص من الأمل من جديد.

(26ع) وَلِشِيثٍ أَيْضاً وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسْمَهُ نُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتَدَأَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ. نلاحظ أثناء سرد القصة الكبيرة أن الله دائماً يحتفظ لنفسه ويبقي على بقية من الشعب وذلك حسب خطة الله الموضوعة مسبقاً لكي يظل الباب مفتوحاً للأمل والرجاء القادم.